

أضواء على مؤلف كتاب

نقائض جرير والأخطل

للمهندس الأستاذ حاتم غنيم

مقدمة:

منذ أعوام عدة، وكان الصديق الدكتور عبدالمجيد المحتسب قد نشر كتابه عن نقائض جرير والأخطل^(١)، تطرق بنا الحديث إلى موضوع كتاب نقائض جرير والأخطل المنسوب إلى أبي تمام، والذي حققه وطبعه الأب صالحاني اليسوعي سنة ١٩٢٢. وعلمت منه حينذاك أن الرغبة تراوده على إعادة تحقيقه ونشره، إذ إن نسخه كانت فقدت من الأسواق؛ كما أن ظهور كثير من الكتب المطبوعة حديثاً، (مثل ديوان جرير^(٢) الذي حققه الدكتور نعمان محمد أمين طه، وديوان الأخطل^(٣) الذي حققه الدكتور فخر الدين قباوة ونشره عن نسخة طهران الخطية)، أضاف شيئاً من وضوح إلى بعض ما أشكل أمره من النصوص والشروح، مما يساعد في التحقيق. ثم أطلعني على أنه قد حصل على صورة للنسخة الخطية المحفوظة في الكتبخانة العمومية ببايزيد في إستنبول، والتي اعتمدها طبعة اليسوعيين؛ وأنه على الرغم من تكبده المشاق في البحث عن طبعة اليسوعيين هذه في المكاتب العامة والخاصة، فإنه لم يستطع التوصل إلى نسخة منها هنا في الأردن. عند ذلك أخبرته بوجودها في مكتبتي، ثم أعرتة إياها، لكنه أعادها بعد فترة مبيناً لي أنه قد غض النظر عن إعادة تحقيق

(١) من منشورات مكتبة المحتسب ودار الفكر سنة ١٩٧٢.

(٢) نشرته دار المعارف بمصر في مجلدين سنة ١٩٦٩ و ١٩٧١ ضمن سلسلة ذخائر العرب.

(٣) صدر عن دار الأصمعي بحلب في جزأين سنة ١٩٧١.

الكتاب. ولعل ما حداه على ذلك ظهور طبعة حديثة مصورة عن الطبعة القديمة للكتاب^(٤). ولست أدري أنفض الدكتور المحتسب يده من الكتاب وتحقيقه أم لا، وأرجو ألا يكون فعل؛ ولكن ما دعاني إلى ذكر هذه المقدمة هو حديث كنا طرّفناه عن توثيق نسبة الكتاب إلى أبي تمام، وما ذكره الدكتور المحتسب في كتابه^(٥) عن شكّه في هذه النسبة. وأنذاك كان في نفسي أيضاً ما فيها من هذا الأمر، فرجوت لو قام في مقدمته لتحقيقه الجديد للكتاب، بدراسة يتحرى فيها المؤلف الحقيقي أو على الأقل من يرجح نسبة الكتاب إليه، ولكن صرفه النظر عن إعادة تحقيق الكتاب حملني على أن أقوم بهذا البحث، إكمالاً لموضوع ترك ناقصاً، وأثير حوله الكثير من التساؤل والتشكيك، علني أقف على جلية وضع التبس، وأمر أشكل.

العوامل الداعية إلى الارتباب في مؤلف الكتاب:

لعل أول من رفض نسبة النقائض إلى أبي تمام كان العلامة الأستاذ عبدالعزيز الميمني الراجكوتي؛ فقد قال في مقدمته لكتاب الوحشيات^(٦) إن الكتاب "ليس له البتة. وأظن بعد الوقوف على ما في فهرست النديم أنه للأصمعي، كما وردت فيه كنيته أبو سعيد غير ما مرة، وذلك برواية السكري لعله"^(٧).

كما أبدى الأستاذ المحتسب شكه أيضاً في نسبة هذا الكتاب إلى أبي تمام. وكان دافعه إلى ذلك أمور منها:

(٤) أعادت طبعها بالأفست دار المشرق ببيروت دون ذكر سنة الطباعة.

(٥) ص (١٧).

(٦) شارك في تحقيقه الأستاذ محمود محمد شاعر ونشرته دار المعارف بمصر ضمن سلسلة

ذخائر العرب سنة ١٩٦٣.

(٧) ص (٥).

"أولاً: أن هذه النقائض غير مسندة إلى أبي تمام عن أحد من الرواة العلماء؛ فلم يروها أحد من الرواة عن أبي تمام؛ كما نرى في مصنفات القرنين الثاني والثالث الهجريين، أو كما نرى ذلك عند زميلتها نقائض جرير والفرزدق. وهذا واضح من عنوان الكتاب وبدايته؛ فعنوان الكتاب: نقائض جرير والأخطل، تأليف الإمام الشاعر الأديب الماهر أبي تمام. وبدايته^(٨): نقائض جرير والأخطل، تأليف الإمام الشاعر الأديب الماهر أبي تمام رحمه الله آمين. بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله كما هو أهله وصلى الله على محمد وآله. كان من حديث حرب قيس وتغلب أن معاوية بن أبي سفيان هلك واستعمل ابنه يزيد بن معاوية فبايعه الناس ما خلا هذا الحي من قيس إلخ...

"ثانياً: لا نرى ذكراً كثيراً في هذه النقائض لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير، وهو الذي اعتمد عليه أبو عبيدة وغيره من العلماء في نقل كثير من أخبار جدّه جرير وأشعاره؛ مع العلم بأن أبا تمام وعمارة كانا متعاصرين.

"ثالثاً: لم نسمع عن أبي تمام بأنه لُقّب "الإمام الشاعر الأديب الماهر" في غير هذا الكتاب؛ والدارج اسمه حبيب بن أوس الطائي، وكنيته أبو تمام. ونرى ذلك واضحاً في أشهر اختياراته: الحماسة، والوحشيات، وهو الحماسة الصغرى، ومختار أشعار القبائل"^(٩).

لا ريب في أن هذه الاعتراضات كلها لها وجه وقيمة، بالإضافة إلى ما

(٨) هذا ما جاء في طبعة اليسوعيين. أما النسخة الخطية فجاء اسم الكتاب والمؤلف في صفحة الغلاف فقط، وابتدأت الصفحة التالية بالبسملة.

(٩) نقائض جرير والأخطل - تأليف الدكتور عبدالمجيد المحتسب، ص(١٧-١٨).

ذكره العلامة الميمني^(١٠) من أن اسم المؤلف كان أضيف إلى صفحة الغلاف بخط حديث مخالف لخط النسخة الأصل. وهذا كاف لأن يدعو إلى الشك والتساؤل، فكيف وقد أضيف إليه أمور تؤكد هذا الشك وتزيد من هذا التساؤل؟ لذلك وجدت نفسي ضمن المرتابين في صاحب الكتاب؛ غير أنني كنت أميل إلى الاعتقاد بأن مؤلفه هو ابن حبيب، لا الأصمعي كما خمن الأستاذ الميمني، وذلك لأسباب سأذكر بعضها تالياً. ثم إنني رجعت عن هذا الرأي بعد أن وقفت على نصوص تخالف ما كنت عليه، مما سأبينه فيما يلي من فقرات.

نصوص مؤيدة لنسبة الكتاب إلى أبي تمام:

قبل نحو سنتين وقعت على ثلاثة نصوص في كتاب "شفاء الغليل في ما في كلام العرب من الدخيل"^(١١) ينقل فيها الشهاب الخفاجي عن أبي تمام فقرات يستشهد بها. فهو يقول في كتابه (ص ٤٧): "ابن المراغة: قال أبو تمام في شرح المناقضات: يقولون إنها رذيلة ولدته في مراغة الدواب أو كانت كالمراغة لمن أَرادها...".

ويقول (ص ٩٧) مشيراً إلى البيت:

ملاعب جنان كأن ترابها إذا طرّدت فيه الرياح مغرلُ

"ذكره أبو تمام في شرح المناقضات".

(١٠) الوحشيات - المقدمة - ص(٥) والذي رأيته في النسخة المصورة للمخطوطة والمحفوظة في مكتبة الجامعة الأردنية يظهران صفحة الغلاف بكاملها كتبت بخط مغاير لخط النسخة الأصل.

(١١) للشهاب الخفاجي - تحقيق عبدالمنعم خفاجي - المطبعة المنيرية بالأزهر سنة ١٩٥٢.

ويقول (ص ٢٠١): " قال أبو تمام في شرح المناقضات: يقال فتح السيف إذا انتضاه. وأنشد يزيد بن مفرغ:

ويومَ فتحتَ سيفك من بعيد
أضعت، وكلُّ أمرِك للضياع .. "

وبعد الرجوع إلى كتاب النقائض وجدت النصوص الثلاثة هذه فيه. ففي ص ١٣٩: "وقوله يا ابن المراغة: يقال إنها ولدته في مراغة دواب، ويقال بل كانت كالمراغة لمن أرادها ..". ونجد في ص ٥٥ من النقائض أبا تمام يروي البيت الذي ذكره الشهاب للأخطل كما رواه في "شفاء الغليل". أما في الصفحة الثامنة من النقائض فنجد النص كما يلي: "... فقال أتينا والله، افتحوا سيوفكم، يريد انتضوها. فبلغ ذلك يزيد بن مفرغ فقال:

ويومَ فتحتَ سيفك من بعيد
أضعت، وكلُّ أمرِك للضياع .. "

هذه النصوص تدلنا على أن الشهاب الخفاجي نقل عن كتاب نقائض جرير والأخطل ونسبه إلى أبي تمام. فهل في هذا ما يزيد الارتياب في النسبة، أم أن النسخة الأصل التي نشر الكتاب عنها قد تكون وقعت في يد الشهاب ونقل عنها، فموه عليه ما أضيف إلى العنوان وانتهى به إلى الخطأ؟..

نكاد نجزم بأن نسخة الشهاب هي غير نسختنا الأم؛ فهو يسميها في المواضع الثلاثة "شرح المناقضات". وربما اختصر هذا العنوان عن "شرح مناقضات جرير والأخطل" أو "شرح المناقضات بين جرير والأخطل" مثلاً؛ فهو استعمل كلمة "شرح" وهي غير واردة في عنوان نسختنا ولا في نهايتها؛ كما استعمل "المناقضات" بدل "النقائض" التي جاءت في أول نسختنا وآخرها. ونرجح أن الشهاب لو نقل عن نسختنا لكان اختصر الاسم إلى "النقائض" أو قال: "ذكره أبو تمام في نقائضه" مثلاً..

هذا التباس قمين بأن يجعلنا نتيقن من أن الشهاب الخفاجي اطلع على نسخة ثانية من نقائض جرير والأخطل معزوة لأبي تمام، مما يعزز هذه النسبة.

ورغم أن هذا دليل قوي على أن الكتاب لأبي تمام، وأخلق به أن يكون حاسماً، إلا أنه لا يكفي في حالة وجود أدلة تتعارض وهذا الافتراض. لذلك أخذت على نفسي أن أنقّر عن صحة ما توسمه الشاكون في هذا الأمر، عسى أن يكون الصواب حليفهم. وكان عليّ قبل أن أصل إلى الرأي الأخير ألا آلو جهداً في وزن الحجج، ورفض ما حقّه الرفض، وترجيح ما نصيبه الرجحان.

دراسة احتمالات أخرى لهوية المؤلف:

ذكر في الفهرست^(١٢) أن نقائض جرير والأخطل صنعها أبو عمرو (الشيبياني؟) والأصمعي، وأثبت ذلك بطريقة قد توحى بأن أبا سعيد السكري صنعها أيضاً. فهل كانت النسخة التي وصلت إلينا من عمل الأصمعي وبرواية السكري كما رجح العلامة الميمني؟.

لمعرفة ذلك قمت بحصر الرواة والشُّرّاح من العلماء المعروفين الذين مرّ ذكرهم في الكتاب، لعلّ ذلك يقودنا إلى نتائج تلقي ضوءاً قد ينير العموض الذي يحيط بمؤلف الكتاب. وهذه قائمة بهؤلاء الرواة والعلماء:

- ١- أبو سعيد، وسننظر في هويته فيما بعد ٩ مرات
- ٢- أبو عمرو الشيباني إسحق بن مرار. كوفي نزل بغداد. توفي سنة ٢٠٦ أو ٢١٣ أو ٢١٦ هـ. ٥ مرات
- ٣- الأصمعي عبدالملك بن قريب. بصري. كانت وفاته

(١٢) للنديم - تحقيق رضا تجدد - طهران ١٩٧١ ص (١٨٠).

- سنة ٢١٦ أو ٢١٧هـ. ٤ مرات
- ٤- أبو عبيدة معمر بن المثنى. بصري. كانت وفاته سنة ٢٠٨ أو ٢٠٩هـ. ٤ مرات
- ٥- هشام بن الكلبي أبو المنذر. كوفي نزل بغداد وتوفي في الكوفة سنة ٢٠٤ أو ٢٠٦هـ. كان الأصمعي يتهمه^(١٣). ٣ مرات
- ٦- ابن عياش عبدالله المنتوف أبو الجراح الهمذاني الكوفي توفي سنة ١٥٨هـ. مرتان
- ٧- الفراء يحيى بن زياد أبو زكريا. كوفي توفي سنة ٢٠٧. مرتان
- ٨- ابن الأعرابي أبو عبدالله محمد بن زياد. كوفي توفي سنة ٢١٣هـ. مرتان
- ٩- الكسائي علي بن حمزة. كوفي نزل بغداد وتوفي سنة ١٨٠ أو ١٨٣ أو ١٨٩هـ. مرة واحدة
- ١٠- الهيثم بن عدي. كوفي بغدادى توفي سنة ٢٠٦ أو ٢٠٧. مرة واحدة
- ١١- الأثرم علي بن المغيرة أبو الحسن. بصري نزل بغداد. توفي سنة ٢٣٢هـ.. مرة واحدة
- ١٢- الجهضمي نصر بن علي. بصري نزل بغداد وتوفي سنة ٢٠٥هـ (أو أبوه علي بن نصر المتوفى سنة ١٨٧هـ). مرة واحدة
- ١٣- عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير. من اليمامة سكن بادية

(١٣) انظر لسان الميزان لابن حجر - نسخة بالأقست عن طبعة حيدر آباد الدكن سنة ٢٩-

١٣٣١هـ ج ٦ ص ١٩٦.

البصرة وزار بغداد. توفي سنة ٢٣٩هـ. مرة واحدة

مما تقدم نستبعد أن يكن الكتاب للأصمعي، فقد ورد لقبه غير مكنى أربع مرات، كما أن مجموع ما روي عن أبي عبيدة وأبي عمرو الشيباني وابن الأعرابي يكاد يتساوى مع ما روي عنه باللقب والكنية. ومن الغريب أن يذكر كاتب يتساوى مع ما روي عنه باللقب والكنية. ومن الغريب أن يذكر كاتب الأصمعي بالكنية مجردة، مما يوحي بأنه اتصل به وقرأ عليه ونقل عنه، ثم يروي عن ابن الأعرابي والأثرم. كما أننا نستبعد أن يروي الأصمعي عن هشام ابن الكلبي، وكان يتهمه، وهو بصري وهشام كوفي.

وقد نقلت كتب اللغة روايات وشروحات عن الأصمعي تخالف ما جاء في النقائض عن (أبي سعيد)، مما يرجح أن أبا سعيد هذا ليس بالأصمعي. فمن ذلك ما جاء في نقائض جرير والأخطل (ص ١٨): "ناقع: ثابت، قال أبو سعيد: سم ناقع أي قاتل". في حين روى الأزهرى في تهذيب اللغة^(١٤) - مادة نقع:- "قال الأصمعي: ... وسم ناقع ثابت. وقال ابن الأعرابي: النقيع السم الثابت. يقال سم منقوع ونقيع وناقع ... قلت (الأزهرى): يقال سم ناقع أي قاتل، وقد نقهه إذا قتله ... وهذا سماعي عن العرب".

كما جاء في النقائض (ص ١٥٣): "قال أبو سعيد: يقال أشاطوا إذا رفعوا عليه ما يعنل (يقنل؟) به .. وروى التهذيب - شاط -^(١٥) عن الأصمعي: "أشاط دم جزور أي سفكه، ... وأشاط فلان فلاناً إذا أهلكه".

(١٤) نشرة الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٤-١٩٦٧ بتحقيق جماعة من الأساتذة.

انظر ج ١ ص ٢٦٢ من الكتاب.

(١٥) المرجع السابق ج ١١ ص ٣٩٠.

كذلك جاء في النقائض (ص ٣):

"وإن عصفت عليكم فاعصبوها عصاباً تستدر به شديداً

وإن صعبت أجود، قال أبو سعيد: وإن عصفت أي كما تعصف الريح، أي لم تطمئن بكم... وفي التهذيب - عصب -^(١٦): "روى أبو عبيد عن الأصمعي البيت: فإن صعبت...".

كل هذا يدعونا إلى التردد في قبول نسبة الكتاب إلى الأصمعي، ونرى أن واضع الكتاب من الذين رروا أو اطلعوا على رواية كل من البصريين والكوفيين، وهذا ينطبق على أبي سعيد السكري. فهل أصاب العلامة الميمني في تقديره مرة أخرى؟.

نشك أن يكون السكري هو أبو سعيد واضع الكتاب، وذلك لما يلي من الأسباب:

- أ- لم يذكر الوساطة في نقله عن الأصمعي وأبي عبيدة. وكان السكري في أكثر روايته عنهما يعتمد ابن حبيب، ولكن هذا لم يرد له ذكر في الكتاب.
- ب- عمل السكري شعر الأخطل فجوده^(١٧) ولكننا نجد أن نسخ ديوان الأخطل الذي صنعه السكري قد أخلت بالنقيضة:

(حي الطعائن إذ رحلن بكورا)

ولا يعقل أن يكون عرفها ولم يثبتها في الديوان.

(١٦) المرجع السابق ج ٢ ص ٤٨.

(١٧) الفهرست ص (١٧٩).

كما نلاحظ اختلاف النصوص الشعرية والشروح في النقائض عنها في نسخ ديوان الأخطل، سواء من حيث عدد الأبيات أو ترتيبها أو الرواية فيها. نذكر من ذلك أن قصيدة الأخطل (ألا يا اسلمي يا هندُ هَدَبَ بني بدر) زادت في النقائض أحد عشر بيتاً عما جاءت في أكمل نسخ ديوان الأخطل. وتزيد قصيدة الأخطل:

(كذبتك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالاً)

ببيتين عما في نسخ الديوان، كما زادت النقائض عن نسخ الديوان بيتاً في قصيدة الأخطل: (خف القطين فراحو منك أو بكروا)، وكلها من أشهر قصائد الأخطل؛ وما كان السكري ليغفل منها أبياتاً لو كان يعرفها.

أما اختلاف الرواية فكثير، نذكر منه ما جاء في القصيدة الأولى من الديوان كمثال، على الرغم من أن التفاوت فيها قليل مقارنة بغيرها من القصائد. وقد اعتمدنا لديوان الأخطل طبعة الدكتور فخر الدين قباوة عن نسخة طهران، وطبعة الأب انطون صالحاني عن نسخة بطرسبرغ^(١٨):

رقم البيت طبعة قباوة	طبعة صالحاني	النقائض
٢٧- وجوز فلاة ما يغمض	ما يغمض	ما يعرّس (مع شرح للتعريس)
٢٨- لا يهتدي له - وما	لا يهتدي له - وما	لا يهتدي به - ولا
٣٤- جنينها	جنينها	جيينه

(١٨) ديوان الأخطل - نشر الأب انطون صالحاني اليسوعي - الطبعة الثانية - دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية) سنة ١٩٦٩.

- ٣٧- بقايا قلات بقايا قلات بقايا ركاء (وفي الشرح قلات)
- ٥٠- (الشرح: هشام: هاشم بن عبد مناف، ونوفل بن عبد مناف) (الشرح: هشام بن المغيرة المخزومي، ونوفل بن عبد مناف. وعن أبي المنذر: هشام- الجود ونوفل - العطايا)
- ٥٣- بما احتفلت (ويروى بما بما احتملت لما احتملت) (احتملت)
- ٤- وشرق للدهنا (غير موجود) (غير موجود)
- ٦٠- مطافل مطافل مطافل
- ٦١- إلى الله منها إلى الله منها إلى الله فيها
- ٦٤- أتاك به الجحاف - وسط أتاك به الجحاف - أأمرك الجحاف - وسط البيوت عند البيوت (مع شرح لأمرك مما يؤكد الرواية)
- ٦٥- لقد كان للجيران لقد كان للجيران لقد كان في الفرقان - (الشرح يذكر الجيران)
- ٦٦- ونحيا ونحيا فنحيا
- ٦٨- وان تحملوا - وان ثقلت وان تحملوا - وان فان تحملوا - وان عظمت. ثقلت
- أما اختلاف ترتيب الأبيات فكثير جداً، ولا داعي لإعطاء أمثلة عليه.

ج- تمر جمل تؤكد أن الراوي هو غير (أبي سعيد)، كما جاء في الصفحة الأولى: "قال: وأخبرني أبو سعيد عن أبي الكلبي أيضاً"، مما يفيد أن جامع الكتاب ليس أبا سعيد، لأن أبا سعيد السكري لم يرو مباشرة عن أبي سعيد آخر، ولا يعقل أن يروي عن الأصمعي مباشرة^(١٩).

لكل ما تقدم نتيقن أنه من المستبعد أن يكون صاحب الكتاب هو الأصمعي أو السكري؛ فالأدلة التي تتنافى وهذه النسبة كثيرة، فعلىنا إذن أن نبحث في اتجاه آخر لعلنا نصل إلى خيط يقودنا نحو الحقيقة.

احتمال آخر:

خالجتني فكرة علقت بوهمي في أن يكون صاحب الكتاب هو ابن حبيب، وأن النسبة لأبي تمام كانت خطأ في القراءة، حيث إن حبيباً هو اسم أبي تمام، ففعل كلمة (ابن) كانت سقطت من نسخة أم فجاء ناسخ وفسر حبيباً بأبي تمام. وابن حبيب قام بعمل نقائض جرير والفرزدق وديوان جرير. ولكنني بعدما تحريت جلية الأمر تيقنت أن ابن حبيب ما جاز أن يكون مؤلف الكتاب، وإليك ما حملني على هذا التحقيق:

أ- لم يمر ذكر لابن حبيب في الكتاب لا باللقب ولا بالكنية، على كثرة ما ذكر من الرواة، ونحن نعرف أن هذه الكتب كانت تدرس على الأئمة وتروى عنهم، فكان لا بد أن يظهر الاسم في ثنايا الكتاب كما هي الحال في نقائض جرير والفرزدق وديوان جرير. وللدكتور المحتسب تحفظ على نسبة الكتاب لأبي تمام مبني على المسألة نفسها^(٢٠). ولكننا سنعالج ذلك تالياً.

ب- عندما روى ابن حبيب نقائض جرير والفرزدق عن أبي عبيدة، وأضاف إليها مما

(١٩) ولد أبو سعيد السكري سنة ٢١٢هـ، وتوفي الأصمعي سنة ٢١٦ أو ٢١٧هـ.

(٢٠) نقائض جرير والأخطل تأليف الدكتور المحتسب ص (١٧).

نقل شيئاً وحذف شيئاً، لم يروِ الجزء الأكبر^(٢١) من نقائض جرير لشعر الفرزدق في عمله لديوان جرير، مكتفياً بما جاء في النقائض؛ وكذلك عمل في ديوان الفرزدق^(٢٢). لكنه لم يفعل ما يشاكل هذا في نقائض جرير للأخطل. بيد أننا لا نرى في ذلك دليلاً قاطعاً على أن ابن حبيب لم يقدّم هذه النقائض التي بين أيدينا؛ إذ ربما كان قام بوضعها بعد عمله لشعر جرير. وقد ذكر ابن النديم أن ابن حبيب عمل نقائض جرير وعمر بن لجأ؛ وربما كان صاحب (منتهى الطلب) نقل أشعار ابن لجأ عنها^(٢٣). وعلى الرغم من أن هذه لم تصل إلينا، إلا أننا نرى كثيراً من أشعار هجاء جرير لعمر بن لجأ في ديوانه. لذلك لا يمكننا اعتبار هذا الأمر قولاً فصلاً، بل عاملاً مرجحاً يضاف إلى غيره من الأدلة. وسنذكر في الفقرة التالية ما يجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأن ديوان جرير كان يجب أن يسبق النقائض، لو صح أن هذه الأخير من صنع ابن حبيب.

ج- تختلف رواية شعر جرير في النقائض عما هي عليه في الديوان. ولنمثل ذلك بالقصيدة الأولى في ديوان جرير (طبعة دار المعارف):

في الديوان تتكون هذه القصيدة من ٥٣ بيتاً، في حين أنها في النقائض تضم ٥٨ بيتاً؛ فهي تنقص ستة أبيات عن رواية النقائض، وفيها بيت غير موجود في النقائض. هذا إلى تفاوت في تنالي

(٢١) نعتقد أن ابن حبيب لم يروِ جميع ما جاء في كتاب نقائض جرير والفرزدق الذي صنعه هو (راجع الفهرست ص ١١١٩) وأن هذه النقائض تخالف نقائض أبي عبيدة (المطبوعة) في أنها لا تشمل سوى نقائض جرير والفرزدق، وأهملت نقائض جرير والبعيث وغان السليطي .. إلخ .. ولنا بحث في هذا الأمر نرجو أن ينشر قريباً.

(٢٢) راجع ديوان الفرزدق تحقيق عبدالله إسماعيل الصاوي - الطبعة الأولى - مطبعة الصاوي سنة ١٩٣٦م.

(٢٣) راجع (شعر عمر بن لجأ التميمي) جمع الدكتور يحيى الجبوري - دار الحرية للطباعة سنة ١٩٧٦ - ص (١٨). وجميع ما جاء في منتهى الطلب لعمر كان في هجاء جرير.

الأبيات. أما تباين الرواية فيهما فكما يلي:

رقم البيت	الديوان	النقائض
-٣	لم أر	لم نلق
-٤	وكننت مرية (مع شرح المرية)	وكننت محلة (مع شرح المحلة)
-٦	بعد الوجيف (مع شرح الوجيف)	بعد الذميل (مع شرح الذميل)
-٩	يجعلن مدفع عاقلين أياماً	فجعلن برقة عاقلين أياماً (مع شرح مدفع)
-١٠	إذا افتخرن	إذا اعتزين (مع شرح الاعتزاء)
-١٣	لو أن - أنزلاً	ولو أن - أنزل
-١٤	حييت لست (مع ذكر رواية: كرى فلسنت)	فيئي فلسنت (مع شرح فيئي)
	إذ يخذن (مع شرح الوخذ)	إذ يسقن (مع شرح الوخذ!!)
-١٧	بكل أبيض	بكل أشعث
-٢٦	تكر	تشد
-٢٧	أباركم	أبادكم
-٢٨	راياتهم	راياتنا
-٢٩	تجمع (وكررها في الشرح)	تجزر
-٣٢	لقيت	رأيت

رقم البيت	الديوان	النقائض
٣٣-	فأعترف	فاحتجر
٣٤-	لو أن	ولو أن
٣٦-	معشر (مع ذكر رواية تدرأ)	تدرأ
٣٧-	راحت خزيمة	وردا بلادك
٣٩-	ما كنت تلقى - إذا ركبوا	ما كان يوجد - إذا فزعوا
٤٠-	صبّحن	فَصَبَّحْنَ
٤٢-	لتحرمنّ	لقد حرمت
٤٦-	تحوي النهاب	تسبي النساء
٤٨-	احسابها	أحلامها
٥١-	ورميت - فقد لقيت	أرميت - لقد لقيت

ولم يرد في النقائض البيت رقم ٥٢ في الديوان.

أما الأبيات التي لم ترد في الديوان ووردت في النقائض فهي الأبيات من ٤٦-٤٩، ٥٢، ٥٥ حسبما جاءت في النقائض.

وربما أمكننا تفسير زيادة أبيات هذه القصيدة في النقائض عما هي عليه في الديوان، بكون النقائض قد وضعت بعد صنع الديوان، وهذا يناقض ما حاولنا إثباته في الفقرة السابقة. إلا أن ذلك لا يساعدنا في تبيان سبب نقصان بعض قصائد جرير في النقائض عنها في الديوان. فقصيدته (وَدَّعْ أَمَامَةَ حَانَ مِنْكَ رَحِيلَ)، مثلاً، تنقص ١٤ بيتاً. ثم كيف يمكننا تفسير الاختلاف في الشرح، كما جاء في شرح الهديل (البيت السابع من هذه القصيدة) والوريعَة (البيت العاشر منها).

وقد تكرر الاختلاف في الشرح بين الديوان والنقائض، نذكر من ذلك شرح (روبل) و(ذات الفلس) و(الاشكل) - الديوان ص ١٤١ و ١٤٣، والنقائض ص ٦٦ و ٦٨ و(أوزار الحرب) و(يوم حزه) و(الحرومة) - الديوان ص ٢٦٢ و ٢٦٣، والنقائض ص ٤٦.

كل هذا - مجتمعاً - يحدونا على إسقاط احتمال أن يكون الكتاب من صنع ابن حبيب. ولا مناص بعد ذلك - وقد أسقطنا من قبل احتمالات أخرى - ولا غضاضة في أن نرجع إلى نسبة الكتاب إلى أبي تمام، فننوسم مدى صحتها ونسبر غور دلائلها الموافقة والمخالفة.

دراسة ما ورد في كل من النقائض وكتب أبي تمام الأخرى:

في هذه المقارنة السريعة بين النصوص المشتركة الواردة في كتاب النقائض والكتب الأخرى التي ألفها أبو تمام ووصلت إلينا، نحاول أن نتلمس طريقاً قد يوصلنا إلى المؤلف الحق للكتاب. والنصوص المشتركة قليلة، نظراً إلى أننا لم نقع على جميع ما ألف أبو تمام من الكتب. ولو بدأنا بأكثر هذه الكتب أهمية، وهو كتاب الحماسة^(٢٤)، لا ريب، نجد أن النصوص المشتركة لا تزيد على أربعة، هي:

أ- قصيدة عمرو بن مخلاة الحمار الكلبى - النقائض ص ١٨ - ومطلعها:

ويوم ترى الرايات فيه كأنها عوائق طير مستدير وواقع

وردت في النقائض في ١٢ بيتاً، اختار منها أبو تمام في الحماسة - ص ٦٤٧ - ستة أبيات هي ذوات الأرقام ١، ٣، ٥، ٧، ٦، ٩. وفي

(٢٤) اعتمدنا في دراستنا لنصوص الحماسة: شرح الحماسة للموزوني، تحقيق عبدالسلام هارون

وأحمد أمين - الطبعة الثانية - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٧-١٩٧٣.

روايتها بعض الاختلاف، نوجزه بما يلي:

رقم البيت	النقائض	الحماسة
١-	عوائف	حوائم
٣-	أجابت (وهو تحريف ناسخ)	أصابت
٧-	صبور	طوال

ونلاحظ إجمالاً أن الاختلاف هين، يضاف إلى ذلك أن اسم الشاعر جاء في كلا الكتابين "عمرو بن مخلاة الكلبى".

ب- قصيدة جواس بن القعطل الكلبى - النقائض ص ١٩ - ومطلعها:

وكم من أمير قبل مروان وابنه كشفنا غطاء الموت عنه فأبصرا

وأبياتها في النقائض ١٢، اختار منها أبو تمام في الحماسة - ص ١٤٩٢ - سبعة أبيات، ترتيبها: ٨، ٩، ١٠، ١، ٢، ٦، ٧. والاختلاف في الرواية كما يلي:

رقم البيت	النقائض	الحماسة
١-	كم، غطاء الموت	فكم، غطاء الفم
٢-	ومستلحم نفست - مقاتله	ومستسلم نفسن، نواجذه
٦-	إذا فاخر	إذا افتخر
٧-	وما كان في قيس بن غيلان	فما كان في قيس من ابن حفيظة

سيد

وجميع الاختلافات (ما عدا ما جاء في البيت السادس) ذكرها المرزوقي كرواية أخرى للأبيات، مما يؤكد لنا أنها الرواية، وغيرها أبو تمام لتلائم ذوقه،

جرباً على عادته في تغيير النصوص^(٢٥).

وقد ورد اسم الشاعر في الكتابين: "جواس الكلبى من بني عدي بن جناب".

ج- بيتان للحصين بن الحمام في النقائض - ص ١٢ - أولهما:

فلست بمبتاع الحياة بسبّة ولا مرتقٍ من خشية الموت سلماً

جاء هذا البيت آخر ١١ بيتاً رواها أبو تمام في الحماسة - ص ٣٩٢ - وجاء فيها (بذلة) بدل (بسبّة). وذكر المرزوقي رواية النقائض ضمن الشرح.

د- بيت واحد مرّ في الشرح - النقائض ص ٢٨ - وهو:

إذا كنتَ في قومٍ عدى لست منهمُ فكلُّ ما علقتَ من خبيثٍ وطيبٍ

جاء آخر ثلاثة أبيات في الحماسة - ص ٣٥٩ - برواية: (ولم تك منهم). وأشار المرزوقي في شرحه إلى رواية النقائض.

هذا كل ما جاء في الحماسة مشتركاً مع النقائض. أما ما جاء في الوحشيات والنقائض فهو قليل كذلك، نجله فيما يلي:

أ- أبيات غلفاء بن الحارث الخمسة الواردة في النقائض - ص ٧٤ - وأولها:

إن جنبي عن الفراش لنابي كتجافي الأسرّ فوق الطراب

(٢٥) كان أبو تمام يصلح من النصوص التي يرويها إن وجد فيها ما يجافي ذوقه الفني. راجع

شرح الحماسة للمرزوقي ج ١ ص ١٤.

جاء منها أربعة أبيات في القصيدة ٢١٣ من الودشيات - ص١٣٣-
وعدد أبياتها هناك ١١، أما البيت الذي لم يرد في الودشيات فهو الخامس في
النقائض، والرواية واحدة ولا اختلاف إلا في البيت الثاني حيث جاء في
النقائض: (وما أسينغ) وفي الودشيات: (ولا يسوغ).

ب- قصيدة زفر بن الحارث - النقائض ص٢٤- وعدد أبياتها ١١، وأولها:

أريني سلاحي لا أبا لك إني أرى الحرب لا تزدد إلا تماديا

اختار منها أبو تمام ٨ أبيات في الودشيات - ص٥٠- وجاء ترتيبها ٨،
٧، ١١، ١٠، ٤، ٥، ١، ثم بيتاً غير موجود في النقائض. أما الاختلاف في
الرواية فكما يلي:

رقم البيت	النقائض	الودشيات
١-	أريني	أبيني
٤-	ولا تفرحوا	ولا تحسبوا
٥-	فقد ينبت	وقد ينبت
١٠-	ولم	فلم
١١-	بالصعيد ولا - من القوم	في القرين فلا - من الناس

ج- أبيات النجاشي الثلاثة - النقائض ص١٢٩- وأولها:

إذا الله عادى أهل لؤم ودقة فعادى بن العجلان رهط بن مقبل

جاءت في الودشيات - ص٢١٥- بترتيب ١، ٢، ٦ ضمن
سنة أبيات. وفي رواية البيت الأخير بعض الاختلاف إذ جاء في النقائض: (خذ
الصحن فاحلب) وفي الودشيات: (خذ القعب واحلب).

د- بيت عميرة بن طارق الذي جاء في الشرح - النقائض ص ٩٠- وهو:

قلو أنها عصفورة لحسبتها مسومة تدعو عبيداً وأزناً

وقع ضمن ثلاثة أبيات في الوحشيات - ص ٢٣٠- ونسبها للعوام أحد بني شيبان بن ثعلبة (وهو الصواب). ولعميرة بن طارق قصيدة على نفس الوزن والروي^(٢٦) لعلها السبب في اختلاف النسبة.

المقارنة بين هذه النصوص، والاختلاف في الرواية فيها عما هي عليه في كتب أبي تمام الأخرى، قد تقودنا إلى الظن بأن النقائض ليست له لولا ما نعرفه عن أبي تمام من تغيير وتعديل في النصوص الشعرية التي نقلها في الحماسة والوحشيات، بقصد تحسين النص، وذلك أن الشعراء كانوا يلقون الكلام على عواهنه ولا يهتمون كثيراً بالصنعة، فتصدر عنهم فلتات كان أبو تمام بطبعه السليم يصلحها، بحيث تسلم نصوصه المختارة من الشوائب. بل إننا نراه يغير في روايته للنصوص المشتركة بين الحماسة والوحشيات، فقد جاء في الحماسة - ص ١١١٢ (عن التبريزي) - بيتان رواهما أبو تمام في الوحشيات - ص ١٧٥ - باختلاف نبينه فيما يلي:

رقم البيت	الحماسة	الوحشيات
١-	وأب بر - تفرّق	وأب وابن - يُقسّم
٢-	عن كل من - عن كل من	عن كل ما - عن كل ما

(٢٦) راجع نقائض جرير والفرزدق لأبي عبيدة تحقيق بيفان - مطبعة بريل - ليدن سنة ١٩٠٥-١٩١٢ ص (٥١).

أما الحماسية رقم (٦٦٦) - ص ١٥٣٩-، وهي ثلاثة أبيات، فنشترك ببيت واحد مع المقطوعة رقم (٣٦٩) في الوحشيات - ص ٢٢٤- والمكونة من ستة أبيات، مما يترك في المقطوعتين سبعة أبيات غير مشتركة. والحماسية رقم (٧١٦) - ص ١٦٣٥- ذات الأبيات الخمسة تختلف بعض الاختلاف عنها في مختار أشعار القبائل، الذي روى المرزباني منها عنه أربعة أبيات في كتابه "أشعار النساء"^(٢٧) - ص ١٦٢- والاختلاف هو التالي:

رقم البيت	الحماسية	مختار أشعار القبائل
٢-	الراقصات إلى منى	الراقصات عشية
٣-	وأنشد	فأنشد

وهذا دأب أبي تمام في تغيير النصوص. فلا يمكننا إذن أن نعتبر اختلاف الرواية أساساً لرفض نسبة النقائض إلى أبي تمام، بل إننا نجد في تشابه بعض النصوص دافعاً لنا إلى القول باحتمال نسبة الكتاب إليه.

مناقشة الأدلة الداعية إلى رفض النسبة:

بعد أن رجح عندنا احتمال نسبة الكتاب إلى أبي تمام، علينا أن نبحت في نقاط اعتبرت دليلاً على فساد هذه النسبة، فمحصها لنتوصل إلى مدى جديتها وصلاحيتها لترجيح رفض النسبة.

ذكر اليميني في مقدمته لكتاب الوحشيات^(٢٨) - في معرض

(٢٧) أشعار النساء للمرزباني تحقيق الدكتور سامي مكي العاني وهلال ناجي - دار الرسالة للطباعة - بغداد سنة ١٩٧٦.

(٢٨) الوحشيات - المقدمة - ص (٥) كما مر سابقاً.

وصفه لأصل الكتاب - أن "بعض المتأخرين لما رأى عنوانه غفلاً عن ذكر المؤلف، زاد بخطه الفارسي: تأليف الإمام الشاعر الأديب الماهر أبي تمام. وهو اختلاق منه قبيح ... إلخ ..".

ولا ريب في أن إضافة كاتب متأخر شيئاً إلى نسخة قديمة أمر يدعو إلى الشك في صحة هذه الإضافة، ولكنه ليس بالضرورة إثباتاً لبطلانها، فربما كان الكاتب نقلها عن ورقة مهترئة أو سطر مطموس ذهب مع الزمن، أو كان اطلع على نسخة أخرى من الكتاب. وكثير من هذه الإضافات على الأصول القديمة ثبتت صحته. ولنعت مثلاً على ذلك النسخة الأصلية لكتاب "طبقات فحول الشعراء" التي نشر عنها الأستاذ محمود محمد شاكر طبعته لهذا الكتاب^(٢٩) - وقد اخترت هذا المثل لأن محقق الكتاب شارك العلامة الميمني في تحقيق كتاب الوحشيات الذي ذكرت ما جاء في مقدمته آنفاً - فقد كتب على غلافها بخط فارسي اسم الكتاب "طبقات الشعراء لمحمد بن سلام" تفسيراً للعنوان المطموس. فهل يجوز لنا أن نرفض نسبة الكتاب إلى ابن سلام، لا لشيء إلا لأن أحدهم أضاف اسم الكتاب ومؤلفه إلى الغلاف؟

أما تلقب أبي تمام بـ "الإمام الشاعر الأديب الماهر" فلا دليل فيه على عدم صحة نسبة الكتاب، إذ إن النساخ المتأخرين اعتادوا إضافة مثل هذه الصفات إلى أسماء المؤلفين، كالعالم العلامة والحبر الفهامة إلخ ...، والنسبة جاءت متأخرة ولا شك، يدلنا على ذلك الخط الذي كتبت به، وهو خط متأخر.

(٢٩) طبقات فحول الشعراء لابن سلام تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني سنة ١٩٧٤.

أما عدم ذكر رواية عمارة بن عقيل في النقائض كثيراً^(٣٠) فليس دليلاً على عدم صحة النسبة، إذ لم يصل إلينا ما يشير إلى أن أبا تمام كان لقي عمارة وأخذ عنه، على الرغم من كونهما متعاصرين. بل إن ما وصل إلينا في "أخبار أبي تمام"^(٣١) للصولي يعطينا انطباعاً بأن عمارة لم يلق أبا تمام، بل كان أعجب بشعره عندما سمعه، وأثنى عليه حين سئل عنه.

بقيت مسألة ذات أهمية ذكرها الدكتور المحتسب، هي أن هذه النقائض جاءتنا غير مسندة إلى أبي تمام عن أحد الرواة العلماء؛ سنذكر تفسيرنا لها في فقرة تالية.

المصادر التي أخذ عنها أبو تمام مادة كتاب النقائض:

لكي نزيل آخر ما علق بأنفسنا من شكل فيما كان من عزو الكتاب إلى أبي تمام، علينا أن نتوصل إلى معرفة الطريق التي نقل عنها كتابه، فهو يروي فيه عن أشخاص لم يقرأ عليهم أو يلقهم: فلقد روى عن الكسائي والبراء وأبي عبيدة والأصمعي وأبي عمرو الشيباني، وبعضهم توفي قبل ولادته، وبعضهم قبل مجيئه إلى بغداد؛ فلا بد أن تكون هناك وساطة أو تفسير آخر لهذه المسألة.

ولو رجعنا إلى ما كان قصه التبريزي في مقدمة شرحه لديوان الحماسة من احتباس أبي تمام عند أبي الوفاء بن سلمة بسبب هطول ثلج عظيم، فشغل وقته هناك بالمطالعة في خزانة كتبه، والتأليف، فصنف خمسة كتب، منها كتاب

(٣٠) ذكر مرة واحدة ص (٦٧).

(٣١) تحقيق خليل محمود عساكر ومحمد عبده ونظير الإسلام الهندي. الطبعة المصورة بالأفست طبع المكتب التجاري بيروت - وراجع فيه ص (٥٩-٦٣).

الحماسة، والوحشيات، لوصلنا إلى حقيقتين: الأولى أنه صنف كتبه معتمداً على خزانة كتب أبي الوفاء، بالإضافة إلى ما كان يحفظه؛ وهذا قد يفسر نقله عن الكسائي والفراء وغيرهما ممن تقدم زمنه. والثانية أنه صنف خمسة كتب هي: الحماسة - التي سماها أبو تمام "الاختيارات من شعر الشعراء" - والوحشيات، ومختار أشعار القبائل، وفحول الشعراء. وإذا سلمنا بأن الحماسة هو كتاب الاختيارات (كما ذكر الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي)^(٣٢)، يبقى لدينا كتاب خامس من تأليف أبي تمام لا ندري ما هو، ولعله نقائص جرير والأخطل.

بقي علينا أن نبحث عن أبي سعيد، الذي يذكره أبو تمام بالكنية مجردة^(٣٣)، فهو إما أن يكون عالماً مشهوراً بكنيته دون اسمه أو لقبه، ونقل أبو تمام عنه من الكتب، (ولكن هذا الافتراض يتداعى إذا لاحظنا أن أبا تمام يقول في كتابه: "وأخبرني أبو سعيد"^(٣٤)، ونستبعد أن يكون قالها تساهلاً كما كان يفعل بعض العلماء عند رواية بعض الكتب إجازة)، وإما أن يكون شخصاً لقيه أبو تمام وأخذ عنه، وهذا هو الافتراض الأكثر احتمالاً. فمن يكون أبو سعيد في هذه الحالة؟

نعرف أن أبا تمام عندما قصد عبيد الله بن طاهر مادحاً، وجد عنده أبا العميثل وأبا سعيد الضرير^(٣٥)، وبعد جفوة اللقاء الأول توطدت عرى الصداقة بينه وبينهما. وأبو سعيد هذا كان من علماء العربية، وثقه

(٣٢) ديوان الحماسة - مختصر شرح التبريزي - تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي - مطبعة

محمد علي صبيح ١٩٥٥ - ص (٣).

(٣٣) مر نكر أبي سعيد تسع مرات وذلك في الصفحات: ١٠٣، ١٠٣، ١٣، ١٨، ٢٩، ٦٣، ١٥٣،

١٦٥.

(٣٤) ص (١) من الكتاب.

(٣٥) أخبار أبي تمام (٧٢).

الأزهري^(٣٦) وروى عنه. وقد روى عن الأصمعي، ولقي أبا عمرو الشيباني وابن الأعرابي، كما أخذ عنه ابن قتيبة. أما اسمه فهو أحمد بن خالد المبارك، لكنه اشتهر بالكنية واللقب. ولأبي سعيد هذا اهتمام خاص بالنقائض. جاء في إنباه الرواة^(٣٧) خلال ترجمة أبي بكر القاري الرازي: "رأيت نسخة من النقائض، رواية أبي بكر القاري عن أبي سعيد أحمد بن خالد في مجلدين". ثم إنه كان أخذ عن أبي عمرو الشيباني - الذي عمل نقائض جرير والأخطل^(٣٨) - وابن الأعرابي - الذي روى شعر جرير وشعر الأخطل - فلا يبعد أن يكون أبو تمام نقل عنه بعض مادة النقائض هذه مباشرة. ونرى نحن أن مادة النقائض جمعها أبو تمام مما رواه عن أبي سعيد الضرير - ولم يذكر لقبه في كتابه، لقرب صلته به، وعدم احتمال الالتباس فيه - بالإضافة إلى ما رواه عن غيره وما جمعه من كتب ابن سلمة. ونكاد نرى تأثير أبي سعيد هذا في قراءة كثير من النصوص الشعرية التي تعتمد رواية ابن الأعرابي في الغالب (وتعرف عن أبي سعيد رواية الشعر عليه) إذ لا تتخللها سوى روايات محدودة لبعض شعر جرير عن عمارة المعاصر لأبي تمام، والذي ربما كان لقيه وأخذ عنه، على الرغم من شكنا في ذلك.

أما عدم انتشار الكتاب واشتهاره فنعزوه لسببين: الأول أن الكتاب لم يؤخذ

(٣٦) تهذيب اللغة ج (١) ص (٢٤).

(٣٧) إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الكتب
١٩٥٠-١٩٧٣ ج (٤) ص (٩٤).

(٣٨) الفهرست (١٨) وفي نكت الهميان للسيوطي ص (٩٦) أنه لقي أبا عمرو الشيباني وابن الأعرابي. وينقل الموشح للمرزباني بتحقيق الجاوي ص (٥٧) عن أبي سعيد الضرير قوله: سمعت الأصمعي يقول....

عن أبي تمام، شأنه في ذلك شأن بقية كتبه التي ضن بها آل سلمة، ولم يظهروها إلى أن اضطرهم ضيق الحال إلى بيع نفائس خزانة كتبهم، وكان ذلك بعد وفاة أبي تمام. وهذا السبب ساعد على عدم اشتهاار هذا الكتاب، ولكنه لم يكن وحده ليمنع من انتشاره، كما لم يمنع من انتشار بقية كتب أبي تمام (كالحماسة، ومختار أشعار القبائل) لو لم يضاف إليه سبب آخر تضافر معه على الحد من شهرة هذا الكتاب، بحيث لم يذكره صاحب الفهرست أو غيره ممن ترجم لأبي تمام. هذا السبب هو - في اعتقادي - أن الكتاب كان على شكل مسودة لم يكمله أبو تمام ولم يبيّضه. يدلنا على ذلك التقصير الواضح في استيفاء كامل نقائض جرير والأخطل. فمثلاً لم يذكر قصيدة جرير (الديوان ص ٨٣٤):

أَجْدَّ رِوَا حِ الْقَوْمِ أَمْ لَا تَرَوْحُ: نَعَمْ، كُلٌّ مِنْ يَعْنِي بِجُمْلٍ مُتَّحٍ

ونقيضها للأخطل (الديوان ص ٧٤٩):

أَلَا جَعَلَ اللَّهُ الْأَخْلَاءَ كُلَّهُمْ: فِدَاءٌ لِعُوثٍ حَيْثُ أَمْسُوا وَأَصْبَحُوا

كما جاء في ديوان جرير - غير القصيدة السابقة - ما ينوف على ٣٥٠ بيتاً قصائد تضمنت هجاء الأخطل، وجاء في ديوان الأخطل من القصائد المتضمنة هجاء جرير ما يقارب ٢٠٠ بيت، كلها أخلّ بها كتاب نقائض جرير والأخطل، في حين حوى الكتاب نقائض لغيرهما، كزفر بن الحارث، وعمرو بن مخلدة الحمارة، وجواس بن القعطل إلخ... مما يوحي بأن أبا تمام كان ينوي التوسع في الكتاب، ولكنه لم يتمه كما أراد له أن يتم. ويعزز ما ارتأيناه سوء في التبويب، وإغفال لذكر كثير من الأيام والحوادث، مع التوسع في ذكر غيرها من الوقائع، ثم إنهاء الكتاب

بذكر سبب البدء في التهاجي بين الشعاعرين، مع أن المفروض عقلاً أن يذكر ذلك في أول الكتاب.

كل هذا، مضافاً إلى أن أبا عمرو الشيباني والأصمعي قاما بعمل هذه النقائض^(٤٠)، وربما بشكل أجود وأكمل، قد يفسر السبب في قلة الاهتمام بكتاب أبي تمام، فلم يبرز في الكتاب غير المنقح هذا الشهرة التي رزقها غيره من كتبه.

خاتمة:

المطالع لكتب الأدب يلاحظ كثرة الإحالات على نقائض جرير والفرزدق، مع ندرة ذكر نقائض جرير وغيره من الشعراء، كالأخطل، وعمر بن لجأ، وكُبلًا عمليه أئمة مشهورون، كالأصمعي، وابن حبيب، وأبي عمرو الشيباني. ولكن نقائض جرير والفرزدق بقيت نسيح وحدها في اهتمام العلماء بها. ولعل ذلك كان بسبب غزارة مادتها، وامتداد فترة الملاحاة بين الشعاعرين، وكون النقائض الأخرى جاءت عرضاً بسبب تحيز شاعر ما لأحدهما. فالأخطل حكم للفرزدق على جرير عند بشر بن مروان^(٤١)، وعمر بن لجأ كان محلباً للفرزدق، مما دعا جريراً لتسقط عورات شعره، ودعا عمر إلى تشويه شعر جرير^(٤٢) فاندلعت نار المهاجة بينهما.

لكننا نرى ميزة خاصة للمهاجة بين جرير والأخطل لا نراها في مهاجاته لغيره من الشعراء، وهي الصفة السياسية لهذه المهاجة،

(٤٠) الفهرست ص (١٨٠) كما مر سابقاً.

(٤١) نقائض جرير والأخطل - تأليف الدكتور عبدالمجيد المحتسب - ص (٩٢) وما بعدها.

(٤٢) راجع سبب المهاجة بين جرير وعمرو بن لجأ ديوان الأخير ص (٩) وما بعدها، نقلاً عن طبقات الشعراء والموشح والأغاني والخزانة.

ففيها حمل جرير لواء القيسية، مشيداً بأيام قيس، مفتخراً بهم في خضم هجومه على تغلب، التي كان بينها وبين القيسيين وقائع وحروب في ذلك العهد. هذا الدفاع الذي كان في ظاهره تعبيراً للأخطل بأيام قيس على تغلب، وكان في حقيقته انحيازاً، واتخاذ موقف سياسي معاضد للقيسيين ضد منافسيهم، ومحاماة عنهم في وجه تحريض الأخطل لرجال الدولة عليهم. وقد كان لجرير في أيام يربوع وتغلب مندوحة عن ذكر أيام قيس، كما كان في غنى عن نقض قصيدة الأخطل: (عفا واسط من آل رضوى فنبتل) التي لم يتعرض الأخطل بها لذكر جرير وقومه، لولا أنه وجد في هذه المهاجاة فرصة للدفاع عن قيس دون التعرض لغضب اليمانية، الذين كان كثير منهم ذوي مراكز مرموقة في الدولة. ونرى أنه اغتنم فرصة وجدها سانحة في الرفع من شأن قيس والحث من تغلب، وهي قبيلة لم يكن لها شأن في الدولة بسبب دينها، فاتخذ من هجائها وسيلة لنشر مآثر قيس ومفاخرها دون أن يثير كبير سخط عليه في أوساط الفئة الحاكمة، التي كان يطمع في نائلها.

وقد كان متوقفاً أن تساعد هذه الصبغة السياسية على سعة انتشار قصائد جرير في هجاء الأخطل ونقائضها من قصائد الأخطل، وكانت بالفعل مدعاة لاشتهارها، بحيث اختار أبو زيد القرشي ملحمة جرير من ضمن نقائضه للأخطل^(٤٣)، كما ارتأى ابن حبيب والسكري أن يبدأ ديوانيهما بقصيدتين من نقائضهما^(٤٤)، وعلى الرغم من كل هذا لم يكتب لهذه النقائض من الشيوخ بين الدارسين والمتأديبين ما كتب لنقائض جرير

(٤٣) راجع: جمهرة أشعار العرب تحقيق علي محمد البجاوي - الطبعة الأولى - دار نهضة مصر. ص (٨٨٩).

(٤٤) القصيدة الأولى في ديوان جرير - صنعة محمد بن حبيب - هي (حي الغداة برامة الأطلال)، والأولى في ديوان الأخطل - صنعة السكري - هي (عفا واسط من آل رضوى فنبتل).

والفرزدق. ولعل ذلك راجع لضخامة الثروة اللغوية التي احتوتها الأخيرة. ومهما كان السبب فإن ما وصل إلينا عن نقائض جرير والأخطل لم يتعد بعض أسماء من قاموا بعملها، ثم هذا الكتاب الناقص غير المنقح، والذي يشك في مؤلفه؛ وهو مصير كم عرفناه لكثير من تراثنا القيم؛ فكم أخدم شاعر ذكر شعراء مجيدين عاصروه، وكم عفى كتاب على آثار كتب تناولت موضوعه لاستغناء الدارسين به عنها...

وسواء أكان الكتاب هذا لأبي تمام أم لغيره، وسواء أكان مسودة أم كتاباً كاملاً عبثت به يد الزمن، فأسقطت من أوراقه وشوشت من ترتيبه، فإنه يبقى ذا قيمة كبيرة؛ فقد حفظ لنا نصوصاً شعرية لم ترد في غيره، ونقلاً لغوية ذات فائدة عن علماء كانوا أئمة عصرهم، وأخباراً تلقي الضوء على الصراع السياسي الذي شهدته تلك الفترة من الزمن، وتأثير الحوادث في الحركة الشعرية التي رافقتها آنذاك.

وعساني أكون ارتكبت شططاً في تقديراتي، وعساني أكون أصبت، ولعل غيري من المتفرغين يطلع على نصوص لم تحضرني، توصله إلى ما استتجت أو إلى خلافة. ولكن بحثي هذا يبقى محاولة للوصول إلى حقيقة يصعب إثباتها بما توفر لدينا من معلومات، مما دفعني إلى كثير من التقدير والحدس، أرجو أن يقيض لي الاطلاع على ما يؤكد في المستقبل. والله أسأل أن يوفقني إلى الصواب، إنه نعم الهادي ونعم المعين.

المهندس حاتم غنيم